الحياء ومهنة التجارة

موضوع حلقة اليوم هو «دور الحياء في مهنة التجارة» ونحب في البداية أن نعطى فكرة عن هذه المهنة ومكانتها في الحياة.

لاشك أن التجارة مهنة شريفة، فهي مهنة امتهنها النبي ﷺ ومدحها عندما قال: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» كذلك لا ننسى أن النبي ﷺ قد بيَّن سعة الأنشطة التجارية عندما قال: «**تِسْعَةُ أعشارِ الرِّزقِ في التِّجارةِ**» فهي من أهم مصادر الدخول للناس، وهى أحد الأنشطة الرئيسية الثلاثة؛ الصناعة والزراعة والتجارة، فالمنتجات الصناعية والمنتجات الزراعية إنما تسوق وتصل للناس عن طريق التجارة التي تقوم بنقل المنتج الصناعي أو الزراعي إلى من هو في حاجة إليه، صانعاً كان أو زارعاً أو مستهلكاً، فحقيقةً تسعة أعشار الدخول والأرزاق تأتى من التجارة، وهو أمر مشاهد اليوم، ولذلك فهي على جانب كبير من الأهمية، وإذا سادتها القيم الصحيحة والأخلاقيات الطيبة عادت على المجتمع بالوفرة وطيب العيش، أما إذا سادها الظلم وانتشر فيها الاحتكار، وتخللتها الأخلاق الفاسدة، فإنها تحيل حياة الناس إلى جحيم، إذ ليس من بين الناس أحد لا يتعامل مع التجار إن لم يكن منتجاً في حاجة إلى المواد المطلوبة لإنتاجه فإنه بالقطع مستهلك يحتاج إلى المواد الاستهلاكية التي يتعامل فيها التجار.

إذا علمنا هذه الأهمية للتجارة، فكيف يقودها خلق الحياء إلى تحقيق مصالح المجتمع؟

إن الحياء من الله تعالى يتمثل إجمالاً في أن لا يراك الله تعالى حيث نهاك، وأن لا يفتقدك حيث أمرك. وإذا تمثل التاجر هذا المعنى فإنه سيقف عند تعليمات الله تعالى التي أمره بها، ويستحى أن يراه الله تعالى وهو يطفف كيلاً أو يخسر ميزاناً، يستحى أن يراه الله تعالى وهو يغش المادة التي يتعامل فيها ويقدمها للناس، يستحى أن يراه الله

تعالى وهو يقدم للناس سلعاً انتهت صلاحيتها، وأصبحت ليست نافعة فقط وإنما ضارة أشد الضرر بمن يستهلكها، إن بعض بائعي المواد المختلفة إذا انتهت صلاحيتها يطبعون عليها تاريخاً جديداً يعطيها فترة صلاحية جديدة، وكذلك يفعل بعض بائعي الأطعمة، وهذه الأفعال لا يرتكبها إلا من تجرد من الحياء من الله تعالى، ولو كان يستحى من الله تعالى ما فعل هذا الفعل القبيح وما ارتكب هذا الجرم الشنيع الذي يودى بصحة الناس، ويقضى على طاقات المجتمع.

الغش التجاري تقاومه الدولة وتحاول القضاء عليه لكنها تجد صعوبة في ذلك، فبم تفسر ذلك يا دكتور؟

الدولة تجد صعوبة كبيرة فعلاً في التغلب على الغش التجاري، وتضع المواصفات لمختلف السلع وتراقبها، لكنها تعجز عن ملاحقة الذي تفننوا في مخالفة هذه المواصفات، ذلك أن الدولة تعتمد على الملاحقة القانونية، وهذه الملاحقة المطلوبة كان ينبغي أن تأتي عقب غرس خلق الحياء من الله تعالى في نفوس التجار، حتى إذا تمكن هذا الخلق من نفوسهم امتنعوا عن كل هذه المخالفات حياء من الله تعالى وليس خوفاً من القانون. وفى الحالة الأولى سيكون لهم ثواب الالتزام بتعليمات الله تعالى، أما في الحالة الثانية فهم إن استجابوا خوفاً من القانون لن يكونوا مأجورين من الله تعالى. ولذلك فإن التربية يجب أن يكون لها دورها في هذا، حتى ينشأ الناس متخلقين بخلق الحياء من الله تعالى، فيهابون أن يراهم في المواطن التي لا تليق بمكانة الإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل وجعل حفظه أحد مقومات الحياء من الله تعالى.

هل الغش في الحياة مقصور على النواحي التجارية أم أنه يمتد ليشمل كثيراً من المجالات الحياتية؟

الغش وإن درجنا على أنه لصيق بتقديم السلع والمواد المختلفة في صورة غير

الصورة التي ينبغي أن تكون عليها هذه السلع وتلك المواد، إلا أنه يكون في كل صور التعامل بين الناس، سواء في ذلك التعامل المادي في السلع أم التعامل المعنوي في تقديم كثير من الخدمات، فالنبي ﷺ عندما قال: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» وفي رواية «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا» لم يحدد مادة يتم فيها الغش، وإنما جاء الحديث مطلقاً ونحن نقول دائماً العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن يغش في المواد التي يبيعها، كمن يغش في الفكر الذي يقدمه للناس من شتى القنوات الفكرية، كمن يغش في النصيحة التي يطلبها منه إنسان، بل إن من يتولى أمراً من أمور الأمة، ولا ينصح لها ويحيطها برعايته، ويبذل في ذلك قصارى جهده، يمارس نوعاً من أنواع الغش، فالمدرس الذي يربى النشء والكاتب الذي يقرأ له الناس، والموظف الذي يقوم على شأن من شئون العامة، يمارس الغش عندما يوهم الناس بأنه يقدم لهم ما يفيدهم، وتكون الحقيقة على خلاف ذلك.

إن معظم ما يعانيه الناس من مشكلات، إنما يعود إلى الغش في المادة المقدمة لهم سواء أكانت هذه المادة خدمة ثقافية أم خدمة تعليمية أم خدمة صحية أم سلعة مادية، زراعية كانت أم صناعية أم تجارية، وما ذلك إلا أثر من آثار عدم الحياء من الله تعالى، الذي لو تخلق به مقدمو هذه الخدمات لقدموها في الصورة التي تنفع الناس وترتقي بهم، ولو ذكر هؤلاء الموت والبلى الذي سيلحق بكل منهم لا محالة، ولو ذكروا موقفهم بين يدي الله تعالى ومحاسبته على القليل والكثير، لما وقعوا في الغفلة التي هي شر ما يصاب به الإنسان في هذه الدنيا. نسأل الله أن يجعلنا ممن يستحى من الله تعالى حق الحياء.